

تفسير البحر المحيط

@ 119 متيقن ، أنه لا يكون ولا يمكن صدقهم ، كما أنه لا يمكن أن يأتوا بكتاب من عند
[] يكون أهدى من الكتابين . ويجوز أن يراد بالشرط التهكم بهم . وقرأ زيد بن علي :
أتبعه ، برفع العين الاستئناف ، أي أنا أتبعه . { فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ } ،
قال ابن عباس : يريد فإن لم يؤمنوا بما جئت به من الحجج ، ولم يمكنهم أن يأتوا بكتاب هو
أفضل ، والاستجابة تفتضي دعاء ، وهو صلى [] عليه وسلم) يدعو دائماً إلى الإيمان ، أي
فإن لم يستجيبوا لك بعدما وضع لهم من المعجزات التي تضمنها كتابك الذي أنزل ، أو يكون
قوله : { فَأَتُوا بِكِتَابٍ } ، هو الدعاء إذ هو طلب منهم ودعاء لهم بأن يأتوا به .
ومعلوم أنهم لا يستجيبون لأن يأتوا بكتاب من عند [] ، فاعلم أنه ليس لهم إلا اتباع هوى
مجردغ ، لا اتباع دليل . واستجاب : بمعنى أجاب ، ويعدى للداعي باللام ودونها ، كما قال :
{ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ } ، { فَاسْتَجَابْنَا لَهُ } وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى ،
{ فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ } . وقال الشاعر : % (فلم يستجبه عند ذاك مجيب
% .

فعدها بغير لام . وقال الزمخشري : هذا الفعل يتعدى إلى الدعاء وإلى الداعي باللام ،
ويحذف الدعاء إذا عدى إلى الداعي في الغالب ، فيقال : استجاب [] دعاءه ، واستجاب له ،
فلا يكاد يقال استجاب له دعاءه . وأما البيت فمعناه : فلم يستجب دعاء ، على حذف المضاف
. انتهى . { وَمَنْ أَضَلُّ } : أي لا أحد أضل ، و { بَرِّغَيْرٍ هُدًى } : في موضع الحال
، وهذا الحال قيد في اتباع الهوى ، لأنه قد يتبع الإنسان ما يهواه ، ويكون ذلك الذي
يهواه فيه هدى من [] ، لأن الأهواء كلها تنقسم إلى ما يكون فيه هدى وما لا يكون فيه هدى ،
فلذلك قيد بهذه الحال . وقال الزمخشري : يعني مخذولاً مخلصاً بينه وبين هواه . انتهى ،
وهو على طريق الاعتزال . .

{ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا لَهُمْ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * الَّذِينَ
آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا يُلْقَى
عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَامَنَّا بِهِ إِنَّ نَسْهُ الْحَقِّ مِنْ رَبِّنَا كُنَّا مِنَ
قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ * أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا
* صَبَرُوا وَيَدْرَؤُنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
يُنْفِقُونَ * وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا
أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ * }

إِزَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَا كِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ
أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ * وَقَالُوا إِنْ زُتَّ بَعِ الْهُدَى مَعَكَ زُتَّ خَطِّفُ
مَنْ أَرَضِنَا أَوْلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ
كُلِّ شِدْءٍ رَزَقًا مِّنْ لَّدُنَّا وَلَا كِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } . .

قرأ الجمهور : { وَمَصْلَانَا } ، مشدد الصاد ؛ والحسن : بتخفيفها ، والضمير في لهم
لقريش . وقال رفاعه القرطي : نزلت في عشرة من اليهود ، أنا أحدهم . قال الجمهور :
وصلنا : تابعنا القرآن موصولاً بعضه ببعض في المواعظ والزجر والدعاء إلى الإسلام . وقال
الحسن : وفي ذكر الأمم المهلكة . وقال مجاهد : جعلناه أوصالاً من حيث كان أنواعاً من
القول في معان مختلفة . وقال ابن زيد : وصلنا لهم خبر الآخرة بخبر الدنيا ، حتى كأنهم
عابنوا الآخرة . وقال الأخفش : أتممنا لوصلك الشيء بالشيء ، وأصل التوصل في الحبل ، يوصل
بعضه ببعض . وقال الشاعر